جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

سـورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

بينهم فى الإيمان (ولايزالون مختلفين) يعنى فى الأديان والملل والمذاهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص ومابدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديدهم وإقامة حجة عليهم

سـورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعنى القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أى أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعنى قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير فى قبله للقصص أى من الغافلين عن معرفته، وفى هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه اذكر المضمر، أو القصص (ياأبت) أى ياأبى والتاء للمبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لى ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء فى ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب فى المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لاتقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هى عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)

إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ
يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ
مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي
غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۝ قَالُوا
يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝

يعنى ذريته (آيات للسائلين) أى لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف أو أمر واقريشا أن يسألوه عنها ، فهم السائلون على هذا ، واللفظ أعم من ذلك (ليوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبة) أى جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين ، والعصبة : العشرة فما فوقها إلى الأربعين (إن أبانا لفى ضلال مبين) أى خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى لا يشارككم غيره فى محبته لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أى بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم (قال قائل منهم) هو يهوذا ، وقيل روبيل (غيابت الجب) غوره وماغاب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين يسيرون فى الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أى هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك لا تأمنا على يوسف) أى لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمنا ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم النون الأولى (يرتع) من قرأه بكسر العين فهو من الرعى أى من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته ، ومن قرأه بالإسكان ، فهو من الرتع وهو الإقامة فى الخصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ، ووزنه على الأول نفتعل ، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته ، وإنما قالوا نلعب ، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، وكان اللعب من المباح للتعلم كالمسابقة بالخيل (وأجمعوا) أى عزموا ، وجواب لما محذوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو (وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحى بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير فى إليه ليوسف ، وقيل ليعقوب والأول هو الصحيح ، (وهم لا يشعرون) فى موضع الحال من لتنبئنهم أى لا يشعرون حين تنبئهم فيكون خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أى لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم (نستبق) أى نجرى على أقدامنا لننظر أينا يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لمقالتنا (ولو كنا صادقين) أى لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهمنا ، وقيل معناه لا تصدقنا وإن

وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

كنا صادقين فى هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، و لأول أظهر (وجاؤا على قميصه بدم كذب أى ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، وروى أنهم لطخوا قميصه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دمه فى قميصه فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قميصه ، فاستدل بذلك على كذبهم (سولت) أى زينت (فصبر جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل ، أو خبر مبتدإ تقديره شأنى صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدين ، وقيل هم أعراب (واردهم) الوارد هو الذى يستقى الماء لجماعة ، ونقل السهيلى أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثنى عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال يابشراى) أى نادى البشرى كقولك ياحسرة ، وأضافها إلى نفسه ، وقرئ يابشرى بحذف ياء المتكلم ، والمعنى كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الحبل فى الجب تعلق به يوسف فحينئذ قال يابشراى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول ليوسف أى أخفوه من الرفقة ، أوقالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر (وشروه) أى باعوه ، والضمير أيضا للذين أخذوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا (بثمن بخس) أى ناقص عن قيمته ، وقيل البخس هنا الظلم (دراهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير للذين أخذوه أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى العزيز ، وكان حاجب الملك وخازنه ، وقال السهيلى اسمه قطفير (من مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فنودى عليه فى السوق حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهبا ، وقيل فضة فاشتراه العزيز (تأويل الأحاديث) قد تقدم (والله غالب على أمره) فى عود الضمير وجهان : أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل مايشاء لا راد لأمره ، والثانى أنه يعود على يوسف أى يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشده) قيل الأشد البلوغ ، وقيل ثمان عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هى الحكمة والنبوة (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت منه مايكون من الرجل إلى المرأة وهى زليخا امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) روى أنها كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فعل معناه تعال وأقبل ، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وبفتح التاء وضمها ، والمعنى فى ذلك كله واحد ، وحركة التاء للبناء ، وأمامن قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت

مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝ وَٱسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أعوذ بالله (إنه ربى) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أو للذى اشتراه ، لأن السيد يقال له رب ، فالمعنى لا ينبغى لى أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والشأن ، ويحتمل ذلك فى الأول أى الضمير (ولقد همت به وهم بها) أكثر الناس الكلام فى هذه الآية حتى ألفوا فيها التآليف ، فمنهم مفرط ومفرّط ، وذلك أن منهم من جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذى أرادته وذكروا فى ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغى أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد يرده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها ، وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ماذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه ، ولا يقدح هذا فى عصمة الأنبياء لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه فى ذلك ، فإنه من همّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ، وإنما حذف لأن قوله همّ بها يدل عليه ، وقد قيل إن «هم بها» هو الجواب ، وهذا ضعيف لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف فى البرهان الذى رآه ، فقيل ناداه جبريل يا يوسف أتكون فى ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهاه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه ، فقال أنا أولى أن أستحى من الله (كذلك لنصرف) الكاف فى موضع نصب متعلقة بفعل مضمر ، التقدير ثبتناه مثل ذلك التثبيت ، أو فى موضع رفع تقديره الأمر مثل ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع فى الزنا (المخلصين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أى الذين أخلصهم الله لطاعته ، وبالكسر أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها ، وقصدت هى أن ترده ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار (وقدت قميصه من دبر) أى قطعته من وراء ، وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لترده فتمزق القميص ، والقد القطع بالطول ، والقطع بالعرض (وألفيا سيدها) أى وجدا زوجها عند الباب (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن) لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها وماجزاء يحتمل أن تكون نافية أو استفهامية (قال هى راودتنى عن نفسى) برأ نفسه من دعواها (وشهد

أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا
وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ۝ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ
قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلا فى المهد فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ، أوضمنت الشهادة معنى القول (إن كان قميصه قدمن قبل فصدقت) لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل (وإن كان قميصه قدمن دبر فكذبت) لأنها جذبته إلى نفسها حين فر منها فقدت قميصه من دبر (فلما رأى قميصه قدمن دبر) فاعل رأى زوجها أوالشاهد (إنه من كيدكن) الضمير للأمر أولقولها ماجزاء (يوسف أعرض عن هذا) أى اكتمه ولاتحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفى حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته (واستغفرى لذنبك) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أومن كلام الشاهد (من الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور (وقال نسوة فى المدينة) أى فى مصر ، روى أنهن خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (فتاها) أى خادمها ، والفتى يقال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) بلغ شغاف قلبها وهو غلافه ، وقيل السويداء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أى بقولهن وسماه مكرا لأنه كان فى خفية ، وقيل كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (وأعتدت لهن متكأ) أى أعتدت لهن مايتكأ عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكأ طعام ، وقرئ فى الشاذ متكا بسكون التاء وتنوين الكاف ، وهو الأترج ، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل كان لحما (وقالت اخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها (أكبرنه) أى عظمن شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جدا (وقطعن أيديهن) أى اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لايشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براءة وتنزيه : أى تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقة مثله ، وحاش فى باب الاستثناء تخفض على أنها حرف ، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا ، وأما هنا فقال أبو على الفارسى إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام فى قوله لله ، ولايدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة والحروف لايحذف منها شىء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك ولا أدرى ، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله ، وقال الزمخشرى إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبين من ينزه قال وإنما حذف منه

بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ * قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

التنوين مراعاة لأصله من الحرفية (ماهذا بشرا) أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة فى وصف الحسن (إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) توبيخ لهن على اللوم (فاستعصم) أى طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه (أصب إليهن) أى أمل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدا لهم) أى ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير فى لهم لزوجها وأهلها أو من تشاور معه فى ذلك (رأوا الآيات) أى الأدلة على براءته (ودخل معه السجن فتيان) أى شابان، وقيل هنا محذوف لابد منه وهو فسجنوه، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إنى أعبر الرؤيا، وكذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل إنهما استعملاها ليجرباه، وقيل رأيا ذلك حقا (أعصر خمرا) قيل فيه سمى العنب خمرا بما يؤول إليه وقيل هى لغة (إنا نراك من المحسنين) قيل معناه فى تأويل الرؤيا، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) الآية: تقتضى أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان: أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما فى الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذى هو معجزة الأنبياء، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام فى المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله فى الدنيا (ذلكما مما علمنى ربى) روى أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم، فقال: ذلكما مما علمنى ربى (إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله علمنى ربى أو يكون استئنافا (ياصاحبى السجن) نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه، كأنه قال ياصاحبى فى السجن (أرباب متفرقون) الآية: دعاهما إلى توحيد الله، وأقام عليهما الحجة رغبة فى إيمانهما (ما تعبدون من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميتم مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۝ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۝ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمراً) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناج منهما) الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين ، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك ، أو يكون على بابه ، لأن عبارة الرؤيا ظن (اذكرنى عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير ليوسف أى نسى فى ذلك الوقت أن يذكر الله ، ورجا غيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث فى السجن ، وقيل الضمير للذى نجا منهما وهو الساقى أى نسى ذكر يوسف عند ربه ، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده ، والرب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولا ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان العزيز خادما له واسمه ريان بن الوليد ، وقيل مصعب بن الريان ، وكان من الفراعنة ، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى فى المنام (عجاف) أى ضعاف فى غاية الهزال (يا أيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (للرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها ، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب ، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات ، واحده ضغث ، فإن قيل : لم قال أضغاث أحلام بالجمع ، وإنما كانت الرؤيا واحدة ؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر (وقال الذى نجا منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قبله محذوف لابد منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف ، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه فى تعبير الرؤيا وغيرها ، والصديق مبالغة من الصدق (أفتنا فى سبع بقرات) أى فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف فعجب كيف علتهن وكيف وسعت فى بطونهن ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبير للرؤيا ،

مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة فكذلك السنبلات الخضر واليابسة (دأبا) بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه ، وهو مصدر فى موضع الحال (فما حصدتم فذروه فى سنبله) هذا رأى أرشدهم يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة ، وهى أن يتركوه فى سنبله غير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت فى غشائها انحفظت (إلا قليلا مما تأكلون) أى لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعنى سبع سنين ذات شدة وجوع (يأكلن ما قدمتم لهن) أى تأكلون فيهن ما ادخرتم من الطعام فى سنبله ، وأسند الأكل إلى السنين مجازا (مما تحصنون) أى تخزنون وتخبئون (ثم يأتى من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يغاث الناس) يحتمل أن يكون من الغيث أى يمطرون ، أو من الغوث : أى يفرج الله عنهم (وفيه يعصرون) أى يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر (وقال الملك ائتونى به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى عليه وعقله ، فقال ائتونى به (قال ارجع إلى ربك فاسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها ، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر ، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعى إلى ذلك بعد طول المدة ، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيا لذمام زوجها وستراً لها ، بل ذكر النسوة اللاتى قطعن أيديهن (قال ما خطبكن) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المراودة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هى التى راودته وحدها (قلن حاش لله) تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقولهن : ما علمنا عليه من سوء (الآن حصحص الحق) أى تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والضمير فى يعلم وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أى ليعلم يوسف أنى لم أكذب عليه فى حال غيبته ، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالضمير للعزيز أى لم أخنه فى زوجته فى غيبته ، بل تعففت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته (وما أبرئ نفسى) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ، فإن كان من كلامها فهو اعتراف ،

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه ، لاعلى وجه العزم والقصد ، وقاله فى عموم الأحوال على وجه التواضع (إن النفس لأمارة بالسوء) النفس هنا للجنس والنفوس ثلاثة أنواع : أمارة بالسوء ، ولوّامة وهى التى تلوم صاحبها ومطمئنة (إلا مارحم ربى) استثناء من النفس إذ هى بمعنى النفوس أى الأنفس المرحومة وهى المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذى ، ويحتمل أن تكون ظرفية أى إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسى) أى أجعله خاصتى وخلاصتى قال أولا ائتونى به فلما تبين له حاله قال أستخلصه لنفسى (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى فلما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . والمكين من التمكين ، والأمين من الأمانة (قال اجعلنى على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك ، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه فى العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافرا ، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل مايخزن من طعام ومال وغير ذلك (إنى حفيظ عليم) صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليم بالألسن ، واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان فى ذلك فائدة (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) الإشارة بذلك إلى ماتقدم من جميل صنع الله به ، وروى أن الملك ولاه فى موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فردّ عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر فى أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الأولى حتى لم يبق لهم شىء منها ، ثم بالحلى ، ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعتقهم وردّ عليهم أملاكهم (نصيب برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يرادبها الدنيا وكذلك الأجر فى قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بعد ذلك ولأجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمته فى الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص ، وأن المحسن لابدّ له من أجره فى الدنيا ، فالأول فى المشيئة ، والثانى واقع لامحالة ، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفى الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة فى بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذى ادخره يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنه أولأنه كان متلثما ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سألهم

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ، وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ، قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ، وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ

عن أحوالهم ، وأخبروه أنهم تركوا أخاهم ، فحينئذ قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم وهو بنيامين شقيق يوسف (ولما جهزهم بجهازهم) الجهاز مايحتاج إليه المسافر من زاد وغيره ، والمراد به هنا الطعام الذى باع منهم (خير المنزلين) أى المضيفين (وإنا لفاعلون) أى نفعل ذلك لامحالة (وقال لفتيانه) جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أمر أن يجعلوا البضاعة التى اشتروا منه بها الطعام فى أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أى لعلهم يعرفون اليد والكرامة فى رد البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة (لعلهم يرجعون) أى لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استمالتهم بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى فهو خوف من المنع فى المستقبل (نكتل) وزنه نفتعل من الكيل (مانبغى) ماستفهامية ونبغى بمعنى نطلب ، والمعنى أى شىء نطلبه بعد هذه الكرامة وهى رد البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون مانافية ونبغى من البغى : أى لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك (ونمير أهلنا) أى نسوق لهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لايعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لغيبة صاحبه حتى يأتى والبعير الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لاتكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أى قليل عنده أو مهل عليه ، فلا يمنعهم منه (حتى تؤتون موثقا من الله) أراد أن يحلفوا له ولتأتنى به جواب اليمين (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد) خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة (ماكان يغنى عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

ءاوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ۝ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ۝ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ۝ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ۝ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين ۝ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ۝ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ۝ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا

لايدفع ماقضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هى شفقته عليهم ووصيته لهم (آوى إليه أخاه) أى ضمه (قال إنى أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه ، واستكتمه ذلك (فلا تبتئس) أى لاتحزن فهو من البؤس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ويعنى مافعلوا بيوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أى لاتبالى بما تراه من تحيلى فى أخذك (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى الصواع ، وهى إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام ، وكان من فضة ، وقيل من ذهب ، وقصد بجعله فى رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد (أيتها العير) أى أيتها الرفقة (إنكم لسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما فى ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى : إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولمن جاء به حمل بعير) أى لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل (وأنا به زعيم) أى ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع ، وهذا من كلام المنادى (قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الأرض) أى استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم فى دخولهم أرضهم حتى كانوا يجعلون الأكمة فى أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) أى قال فتيان يوسف ماجزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير فى قوله جزاؤه يعود على الأخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزاء السارق أن يستعبد ، ويؤخذ فى السرقة ، وأما الإعراب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثان وهى شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزاؤه ، والجملة خبر جزاؤه الأول ، والوجه الثانى : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف ، وتقديره جزاؤه أخذ من وجد فى رحله وتم الكلام . ثم قال فهو جزاؤه أى هذا الحكم جزاؤه (وكذلك نجزى الظالمين) من كلام إخوة يوسف أى هذا حكمنا فى السراق ، وقد كان هذا الحكم فى أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدى (فبدأ بأوعيتهم) هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه ، وإنما أنث الصواع فى هذا الموضع لأنه سقاية ، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث (كذلك كدنا ليوسف) أى صنعنا له هذا الصنع (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى فى شرعه أو عادته ، لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم ، ولكن حكم فى هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعنى الرفعة بالعلم بدليل مابعده (وفوق كل ذى علم عليم) أى

أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ۝ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ۝ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) الضمير فى قالوا لإخوة يوسف ، وأشاروا الى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين ، فقد سرق أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إنما صدر من ابنى راحيل لامنا ، وقصدوا بذلك رفع المعرة عن أنفسهم ، ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف فى السرقة التى رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته ربته ، فأراد والده أن يأخذه منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقى عندها إلى أن ماتت ، والثانى أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره ، والثالث أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرها يوسف فى نفسه) قال الزمخشرى الضمير للجملة التى بعد ذلك وهى قوله أنتم شرّ مكانا ، والمعنى قال فى قوله أنتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التى وجد فى نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله أنتم شر مكانا أى لسوء أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة (إن له أباشيخا كبيرا) استعطافا وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه (فخذ أحدنا مكانه) على وجه الضمان والاسترهان ، والانقياد ، وهذا هو الأظهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أى أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل أو على الإطلاق (واستيئسوا) أى يئسوا (خلصوا نجيا) أى انفردوا عن غيرهم يناجى بعضهم بعضا ، والنجى يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كبيرهم) قيل كبيرهم فى السن وهو روبيل ، وقيل كبيرهم فى الرأى وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) تحتمل « ما » وجوها : الأول أن تكون زائدة ، والثانى أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم فى يوسف ، والثالث أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذى وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى أبيكم) من قول كبيرهم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق) قرأ الجمهور بفتح الراء والسين ، وروى عن الكسائى سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء أى نسبت له السرقة (وما شهدنا إلا بما علمنا) أى قولنا لك إن ابنك : إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى (وما كنا للغيب حافظين) أى لا نعلم الغيب هل ذلك حق فى نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدس الصواع فى رحله من غير علمه وقال الزمخشرى المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ٭ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ٭ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ٭ قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ٭ قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون ٭ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ٭ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ٭ قال هل علمتم ما فعلتم

أي ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشري ، والقراءة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير . يعنون الرفقة ، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا هي مصر (قال بل سولت لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سولت الآية (بهم جميعا) يعني يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذي قال لن أبرح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال يا أسفى على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث ، الذاهبين ، لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته ولأن مصيبته كانت السابقة (وابيضت عيناه من الحزن) أي من البكاء الذي هو ثمرة الحزن ، فقيل إنه عمي ، وقيل إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى وأعطي أجر مائة شهيد ، وما ساء ظنه بالله قط (فهو كظيم) قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أي كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ، ولا يشكو إلا الله وقيل بمعنى مفعول كقوله ، إذ نادى وهو مكظوم ، أي مملوء القلب بالحزن ، أو بالغيظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تالله تفتؤ) أي لا تفتؤ ، والمعنى لا تزال ، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون (حرضا) أي مشرفا على الهلاك (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) رد عليهم في تفنيدهم له : أي إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبث : أشد الحزن (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظني به وقوة رجائي فيه (يا بني اذهبوا) يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أي تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر ، وإنما لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقي هناك اختيارا منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تيئسوا من روح الله) أي من رحمة الله (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أو الهم على إخوتهم (ببضاعة مزجاة) يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام ، والمزجاة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل الناقصة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضا

بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ

فلذلك قالوا هذا (وتصدق علينا) قيل يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم ، وقيل أوف لنا الكيل الذى هو حقنا وزدنا على حقنا ، وسموا الزيادة صدقة ، ويقتضى هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل تصدق علينا برد أخينا إلينا (إن الله يجزى المتصدقين) قال النقاش : هو من المعاريض وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر ، لأنهم لم يعرفوه ، فظنوا أنه على دين أهل مصر ، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا ، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه) لما شكوا إليه رق لهم وعرفهم بنفسه ، وروى أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ، ثم أزال اللثام ليعرفوه ، وأراد بقوله مافعلتم بيوسف وأخيه : التفريق بينهما فى الصغر ، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده ، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه (إذ أنتم جاهلون) اعتذار عنهم ، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح مافعلوه أو جهل الشباب (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرئ بالاستفهام والخبر ، فالخبر على أنهم عرفوه ؛ والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه (من يتق ويصبر) قيل إنه أراد من يتق فى ترك المعصية ، ويصبر على السجن ، واللفظ أعم من ذلك (آثرك الله علينا) أى فضلك (لخاطئين) أى عاصين ، وفى كلامهم استعطاف واعتراف (لا تثريب عليكم) عفو جميل ، والتثريب التعنيف والعقوبة ، وقوله اليوم راجع إلى ماقبله فيوقف عليه ، وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار ؛ وقيل إنه يتعلق بيغفر ، وهذا بعيد لأنه تحكم على الله ؛ وإنما يغفر دعاء ، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله لا تثريب عليكم اليوم ، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه (اذهبوا بقميصى) روى أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به ، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذى بمنزلة قميص كل أحد (يأت بصيرا) الظاهر أنه علم ذلك بوحى من الله (فصلت العير) أى خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب (قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف) كان يعقوب ببيت المقدس ، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة (لولا أن تفندون) أى تلومونى أو تردون على قولى ، وقيل معناه تقولون ذهب عقلك لأن الفند هو الخرف (فى ضلالك القديم) أى ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك فى يوسف قديما (فلما أن جاء البشير يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم فقال لإخوته : إنى ذهبت إليه بقميص القرحة فدعونى أذهب إليه بقميص الفرحة (قال سوف أستغفر لكم ربى) وعدهم بالاستغفار لهم ، فقيل سوفهم إلى السحر لأن

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ

الدعاء يستحاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا محذوفات يدل عليها الكلام ، وهى فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبويه) أى ضمهما ، وأراد بالأبوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت ، وسمى الخالة على هذا أما (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذى فى قوله آمنين (رفع أبويه على العرش) أى على سرير الملك (وخروا له سجدا) كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) يعنى حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بى) يقال أحسن إليه وبه (أخرجنى من السجن) إنما لم يقل أخرجنى من الجب لوجهين : أحدهما أن فى ذكر الجب خزى لإخوته وتعريفهم بما فعلوه وترك ذكره توقيرا لهم والآخر أنه خرج من الجب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاء بكم من البدو) أى من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعدد من النعم مجيئهم للحاضرة (نزغ الشيطان) أى أفسد وأغوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما يشاء من الأمور (من الملك) من للتبعيض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توفنى مسلما) لما عدد النعم التى أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله (ذلك من أنباء الغيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالغيوب (وما كنت لديهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تأكيدا لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذ أجمعوا) أى عزموا (وهم يمكرون) يعنى فعلهم بيوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسئلهم عليه من أجر) أى لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأى من آية) يعنى المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت فى كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وقيل فى أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعم (قل هذه

السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓمٓرٰ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

سبيلي) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة (أنا ومن اتبعني) أنا تأكيد للضمير في أدعو، ومن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال وقيل أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء (من أهل القرى) أي من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم (حتى إذا استيأس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، ويأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (في قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثاً يفترى) يعني القرآن (ولكن تصديق الذي بين يديه) تقدم معناه في البقرة

سورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أي آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك (والذي أنزل إليك) يعني القرآن وإعرابه مبتدأ وخبره الحق (بغير عمد) أي بغير شيء تقف عليه إلا قدرة الله (ترونها) قيل الضمير للسموات وترونها على هذا في موضع الحال أو استئنافا